الفصل الرابع

العاب الأطفال في تراث العرب الشعري

- من هو الطفل...؟
- عوالم الطفل عبر التاريخ...
- العاب الفروسية...
- العاب مختلفة: المفايلة، الطبن، المقلى، الزلف، الرهدان، العرعرة، الزحلوقة، الحدبدبى، الخرارة، العروسة. الحوالس، الطريدة.

من هو الطفل...؟

ابتداء لابد من تأكيد حقيقة جوهرية هي أنّ تحديد مواصفات الطفل، تضمنه التنزيل العزيز في اربع آيات بينات، اثنتان منها، اكدتا أن الطفل هو محصلة اطوار خلق الله –جلّ وعزّ– للانسان قبل خروجه من رحم امه، وذلك ما نتلمسه في قوله تعالى: ﴿وَنُقِرُّ فِي ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾ [الحج: الآية ٥].

أما الايتان الاخريان، فنستشف من نصهما أن بلوغ الحُلُمِ هو الحد الفاصل بين عالم الطفولة وعالم الكبار من جهة،او اولئك الاطفال الذين لم يطلعوا على (عَوْرَاتِ النِّسَاء) للجماع، من جهة اخرى، وذلك في قوله تعالى: ﴿أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ﴾ [النور: الآية ٣١]. وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُوا۟ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [النور: الآية ٥٩].

ويبدو أن علماء النفس المسلمين، استلهموا مضامين هذه الايات البينات، ليحددوا مواصفات الطفل وأمتداد عمره الزمني، وابعاد شخصيته، المودعة –بايجاز واف– في الرأي القائل: ((إن الطفل هوذلك الكائن البشري الذي لم يصل الى سن البلوغ الجسمي والعقلي والانفعالي، ولما يزل في دور التذبذب والتغيير، حتى يبلغ حالة الثبات او النضج، المبتدئة في السن السادسة عشرة، او الثامنة عشرة، في الاغلب الاعم))[1].

واتماماً للفائدة، نطالع ما امدتنا به معجمات اللغة بشأن مفهوم الطفل، اذ نقرأ في بعضها مانصه:

«الطفل: البنان الرخص، والرخص الناعم، وغلام طفل إذا كان رخص القدمين واليدين[2]. والطفل والطفلة: الصغيران[3]، والطفل: الصغير من كل

شيء بيّن الطفل والطفالة والطفولة والطفولية... والجمع اطفال[٤]. وممن أومأ إلى هذا المعنى الشاعر أبو كبير الهذلي في قوله:

أَزهيرُ إنْ يُصبِحْ أَبُكَ مُقَصِّراً طِفْلاً يَنُوءُ إذا مَشىَ للكلكل[٥]

أراد أنه يقصر عما كان عليه ويضعف من الكبر، ويرجع الى حد الصبا والطفولة، وفي معنى الطفل ودلالته على الصغير أيضاً قال أبو ذؤيب الهذلي:

ثلاثاً فلما استُجيلَ الْجهـا مُ واستجمَعَ الطَّفْلُ منه رُشوحَا[٦]

عني بالطفل هنا السحاب الصغار، أي جمعتها الريح وضمتها، واستعار لها الوشوح حين جعلها طفلاً... وفي المعنى نفسه استعمله (صخر الغي) في الوعل قائلاً:

بها كان طِفْلاً ثم أَسْدَسَ فَاسْتَوى فأَصْبَحَ لِهْماً في لُهُومِ فَراِهب[٧]

والطفل الصغير من أولاد الناس والدواب، فيقال: أطفلت المرأة والنعم، كان معها ولد طفل[٨]، وذلك ماتضمنه قول لبيد العامري في معلقته:

فَعَلاَ فُرُوعُ الأيْهُقَانِ وأَطْفَلَتْ بالجَلْهَتَينِ ظِبَاؤُهَاونَعَامُهَـا[٩]

ومن ذلك المطفل والمطافل والمطافيل: ذات الطفل من الانسان والوحش معها طفلها...[١٠].

يستنتج من هذه المعاني أنّ الطفل: هو ذلك الصغير من كل شيء: عمراً ووزناً وحجماً ومؤهلاً وتفكيراً وسلوكاً وقدرات بدلالة بنانه الرخص أو الناعم.

ويبدو أنّ مفردة الطفل تكاد تستغرق بقية المفردات الأخر الدالة على كل من لم يبلغ الحلم، من ذلك مفردة (الصبي) الذي يدعى طفلاً حين يسقط من بطن أمه إلى أن يحتلم[١١] والصِّبا: الصغر في السن... والجمع صِبية وصِبيان في المشهور[١٢]. والصبي مرادف للغلام في جانب، إذا أخذنا في الحسبان أنّ الغلام: «هو من حين يولد الى ان يشيب»[١٣]. ولما كانت العرب تقول «للكهل غلام نجيب»[١٤]، وهو فاش في كلامهم آنذاك، أدركنا أنّ مفردة (الغلام) تتسع لتتجاوز

دلالة الطفولة. أمّا الحدث فقد جاء في المعجمات: «شابٌّ حدثٌ: فَتِيٌّ السَّن، ورجل حدث السّن وحديثها: بيِّن الحداثة والحُدُوثة، أي شاب[١٥]، ويقال: هؤلاء غلمان حُدثان أي احداث، والانثى حَدَثَة[١٦]... وذلك يدل على أنّ الحدث نهاية الطفولة وبداية النضج؛ مما يتوافق مع دلالة مفردة (الناشئ) من حيث انه – أي الناشئ– فُويق المحتلم»[١٧].

وكذلك شأن دلالة مفردة (الفتى والفتية): أي الشاب والشابة، والجمع فتيان وفتية وفتوة...[١٨]. ومما يؤكد حقيقة أنّ الفتى يتجاوز عهد الطفولة قول بعضهم: «ليس الفتى بمعنى الشاب والحدث حسب، انما هو بمعنى (الكامل) الجزْل من الرجال»[١٩]. وحول هذا المعنى يقول أحد الشعراء:

إنَّ الفَتَى حَمَّالُ كُلَ مُلمَّةٍ لَيْسَ الْفَتَى بِمُنَعَّمِ الشُبَّانِ[٢٠]

أمّا الولد فهو الوليد الصبي حين يولد، والولد أيضاً: اسم الواحد والكثير والذكر والأنثى[٢١]. وقال بعضهم: «وهو للذكر دون الانثى»[٢٢]. وقيل أيضاً: ميلاد الرجل: اسم الوقت الذي ولد فيه[٢٣]. وهذه المعاني للفظة (الولد) تقتصر عن مفهوم الطفل، وذلك لاشتقاق التسمية من الولادة حصراً.

ويتضح مما تقدّم أنّ (الطفل) هو أكثر استغراقاً لكل المعاني ذات الصلة بتلك الكائنات الإنسانية التي لم تبلغ الحلم أو النضج أو الثبات على وجه التحديد أو الحصر. وذلك ما يسوّغ لنا الاتكاء على لفظة (الطفل) عنواناً لهذه الدراسة، فعلاً فضلاً عن كونها أكثر شيوعاً وتداولاً في العصر الحديث من غيرها، ولاسيما مسميات الصبي أو الصبيان الشائعة قديماً... قبل التطرق إلى عوالم الطفل عامة وألعابه الشعبية خاصة، ليكتمل طرفا المعادلة (البحث) إن جاز التعبير.

عوالم الطفل عبر التاريخ:

يستنبط من الآثار والحفريات والنقوش والرقم الطينية والرسوم المكتشفة من جهة، والحكايات والأشعار والأمثال والأقوال والكتابات المودعة في المظان

التاريخية والأدبية وغيرها من جهة أخرى، أنّ الطفل في العصور التاريخية، ولاسيما المتأخرة منها وإلى عهد شبه قريب، كان يخلق عالمه البهيج بنفسه، ستمداً عناصره وتشكيله من مادة الطبيعة التي يحيا بظلها... فالتراب والرمال والحصى والأحجار والعظام والجلود والحبال وأغصان الأشجار والحيوانات وغيرها، هي أبرز مقتنياته وأدواته في اللعب والتسلية والنشاط ولا سيما حين كان يحولها بوعي فطري منه إلى أشياء نابضة بالحيوية وغنية بالأفكار والمعاني والصور، بما يلائم ذهنه وذوقه ومفاهيمه وتطلعاته وقدرته على الاستيعاب، وبما يحقق له ذلك ايضاَ المتعة والفائدة والتسلية... وبشأن عالم الطبيعة وأثره في بلورة شخصية الطفل وتوجهاته، يقول المفكر الفرنسي جان جاك روسو: «مهما اختلفت العمليات التي توجه الطفل، فإن الطبيعة من حوله تدعوه أولاَ إلى الحياة الإنسانية، وهذه الحياة هي قاعدة الإبداع، وبلورة القدرات وتشكيل المهارات، أي حين يكون اولاً أنساناً»(٢٤).

ولاشك أنّ توجهاً كهذا يضع الطفل أمام مسؤولية كبيرة في هذه السن المبكرة، ويعطينا إجابات شافية عن أسباب القوة والعبقرية التي سادت في العصور التاريخية ولا سيما المتأخرة منها، الشاخصة معطياتها في اولئك الأطفال الذين غدَوا –من بعد– حكّاماً وحكماء وأبطالاً وفرساناً وفلاسفة وكتاباَ وشعراء كباراً مبدعين في شتى الفنون، مسهمين في بناء صرح حضارات إنسانية، ما زالت تشعّ أنوارها على المدنيات الحديثة وينهل من معينها الذي لاينضب على نحو ما هو شائع ومشهور عن حضارتي الرافدين والنيل الخالدتين، خاصة، وبقية حضارات الأمم الأخرى، عامة.

ومن الراجح ان تعدّ ألعاب الأطفال وممارساتهم وسلوكياتهم واكتسابهم المهارات اليومية المتميزة، وتحميلهم الأعباء غير الاعتيادية في نشاطاتهم اليومية، أبرز دواعي ذلك التفوق أو الإبداع المقترن بأولئك الرجال نزوعاً إلى طفولتهم وتربيتهم المتفردة في سماتها وعناصرها، وذلك مايؤكده المثل القائل:

التعلم في الصغر كالنقش على الحجر

وحسبنا في هذا الشأن أن نلتفت إلى ألعاب الأطفال الشعبية لنقيم القناعة في ما ذهبنا إليه، إذ تشير الحقائق التاريخية إلى أنّ تلك الألعاب كانت تقوم على مبدأ الإجتماع أو التجمع. وفي هذه الجماعات كان الصغير يتعلم الكثير من المعاني والقيم الأساسة، من ذلك التزامه بقوانين الجماعة، والانسجام معها والانتماء إليها، ومنها تفرز بشكل طبيعية الشخصيات القيادية الموجهة والمستقطبة ائتلاف الجماعة حولها، فضلاً عن ذلك كانت تلك الألعاب تغرس في نفوس الاطفال كمّاً هائلاً من المشاعر الأنسانية النبيلة، وتعلّمهم التقارب والصداقة والاندماج والتناصر في نسيج اجتماعي متشايك، يبدأ مع الطفل منذ نعومة أظفاره، ويستمر معه حتى سن الرجولة، وأحياناً حتى الكهولة. ولعل سيادة نظام القبيلة في المجتمع العربي السابق للإسلام يؤكد حقيقة أنّ الفرد العربي، ومنذ صغره، كان محتماً عليه أن يأتلف في جماعة ويندمج معها. تأكيداً لهويته أولاً، وتجنباً تحمل أعباء الظرف البيئي القاسي وحده ثانياً، وحماية لذاته من أخطار طبيعية وغير طبيعية ثالثاً، وإيماناً منه بأعراف قبيلته وتقاليدها وتوجهاتها رابعاً[٢٥]؛ وذلك ما أفصح عنه شعراء العرب في بعض خطاباتهم، ولاسيما قول أحدهم:

في فِتْيَةٍ كُلّمَا تَجَمَّعَت الـــ بَيْدَاءُ لم يَهْلَعُوا ولَمْ يَخِمُوا[٢٦]

إن هذه الحقائق المتعلقة بالطفل وعالمه وألعابه نجد صداها في النتاج الشعري السابق للإسلام خاصة، وعصور الشعر اللاحقة عامة، انطلاقاً من الحقيقة القائلة: إن التراث الشعري يدلنا على جوانب الحياة التي كان يعيشها أسلافنا، والأنماط السلوكية الي كانت تسلك في تلك الحقبة، والطراز الفكري الذي فكّر به اجدادنا، وهذا ما أفصح عنه الدكتور احمد الحوفي في رأيه القائل: «إنّ الشعر يعرض علينا الماضي بكل جوانبه وكأنه مجاميع من شهود شاهدوه بأبصارهم، بل هو نفس هذا الماضي ارتسم في كلمات وأنغام»[٢٧].

وحسبنا في هذا الشأن أن نستل من ذلك التراث الشعري الذي وصل إلينا ما له صلة بألعاب الأطفال التي أشير إليها في معرض معالجة الشاعر لهذا الحدث أو ذاك، أو افصاحه عن قضية أو تجربة أو رؤية بعينها، فضلاً عن تطرقه الى تلك الالعاب بشكل مباشر ايضاً، وكان الشاعر في ذلك كله يستمد من بيئته الطبيعية والاجتماعية مضامينه الفكرية، وصوره الفنية، واخيلته الشعرية، ولاسيما حين يعقد الموازنات بين المشبه والمشبه به، التي يودعها في تلك الصور تارة، أو حين يصوّر معانيه مجسّمة في اشخاص أو أشياء تارة اخرى... وهذا ما سنحاول تأكيده لدى تتبعنا ما شاع من ألعاب في ذلك العصر.

ألعاب الفروسية:

مما لاشك فيه أنّ طبيعة الحياة القاسية التي عاشتها القبائل العربية في صحراء مترامية الأطراف في شبه الجزيرة العربية الشحيحة بخيراتها، قد تركت آثارها في نفوس العرب، فأذا تقصينا حياة العربي منذ طفولته أدركنا أنّ الشجاعة قد ولدت معه، بكلمة أدل كان مفروضاً عليه التحلّي بها، في مواجهة ظرف بيئي قاس لايرحم الضعيف، ولا أدل على ذلك من قول العرب المأثور «لشجاعة وقاية والجبن مقتله»[٢٨]. وفي أشعار العرب تأكيد يفصح عن هذا المبدأ الذي استقر في النفوس، ولا سيما قول الحصين بن الْحُمام المري:

فَلَسْنَا عَلَى الأعقَابِ تَدْمَى كُلُومُنَا ولكنْ على أَقْدَامنَا تَقْطُرُ الدما[٢٩]

ومن الطبيعي أنّ الشجاعة لم تكن مجرد شعور ينتاب الفرد، إذ لابدَ من توافر مستلزماتها أو مكوناتها، ويبدو أنّ الفروسية بدلالتها الشمولية كانت أهم رافد يوفر معايير الشجاعة والرجولة والبطولة. فمن معاني الفروسية الحذق بأمر الخيل وركوبها والثبات عليها، والتعرف الى أحوالها أولاً، وصولاً إلى منزلة الفارس في تحليه بالقوة، والاستبسال والإقدام، وركوب المخاطر، والصبر على المكاره أخيراً[٣٠]. ومن المؤكد أنّ العرب كانت تحرص على أن يتقن أبناؤها

أساليب الفروسية منذ نعومة أظفارهم، ابتداء من ركوب الخيل التي غدت إحدى الألعاب التي آثر الأطفال ممارستها للتسلية وتزجية الوقت وسيلة، وإتقانها والحذق بها غاية في قادم أيامهم، وقد آثرنا أن نستل من خطابات الشعراء وصورهم ما يومئ إلى هذه اللعبة بهذا القدر أو ذاك، ولاسيما الصورة الشعرية التي رسمها امرؤ القيس لسرعة عدو فرسه، وشدة دفعته في حال انطلاقته، مجسماً إياها في سقوط الغلام الخفيف الوزن والصغير السن في أول عهده بأمر الخيل عن ظهره من جهة، والأخرق الثقيل وهو الذي لايحسن الركوب، والخائف أن يصرعه فيثبت على ظهره ولا تثبت أثوابه عليه من جهة أخرى، وذلك ماهو مودع في أوجز لفظ وأوفى معنى في هذا الخطاب الشعري:

يُطير الغلامَ الخفَّ عن صهواته ويُلوي باثواب العنيف المثقَّل[٣١]

وقد رويت لأحد شعراء بني عامر بن صعصعة أبيات يعرض فيه فضل الخيل على قومه صغاراً وكباراً، يقول فيها:

بنَي عَامرٍ مَا لي أرَى الخيلَ اصبَحتْ بِطَانُا وبَعضُ الضّمْرِ للخَيْلِ أفْضلُ
بَني عِامِر إنَّ الُخيُولِ وِقَايِةٌ لأنْفسكُمْ وَالموتُ وِقتٌ مُؤجَّلُ
أهُينوا لهَا من تكرمون وباشروا صَيَانَتها والصوَّنُ للْخَيْلِ أجْمَلُ
مَتَى تُكرموهَا يكرم المرءُ نَفْسُه وكلُ أمْرِئ مِن قومِه حَيْث يَنْزلُ[٣٢]

ومن مستلزمات الفروسية المهارة في استعمال السيف، لما له من خصوصية منفردة عن عدة الأسلحة الأخرى، حتى يكاد يترادف السيف مع معنى الشجاعة ويغدو رمزاً للشجعان[٣٣].

وبشأن قيمة السيف، قال الأحنف بن قيس: «ما تزال العرب عرباً ما لبست العمائم وتقارت السيوف»[٣٤]. ومن هنا لا غرابة أن نجد الاطفال يدفعون أو يندفعون إلى التعلم بالسيف والتمرن في الضرب في ألعابهم إلى العصي الخشبية، أو الحراب الصغيرة ذات السن الطويل، أو الخرق المفتولة، يتبارزون فيها بها،

تقليدياً لفرسان قبيلهم، واحتذاء بهم، آملاً في أن يغدوا جديرين بالدفاع عن حمى قبيلتهم مستقبلاً... وذلك ما يستوحى من الصورة التي رسمها الشاعر عمروا بن كلثوم التغلبي، وقد شبه فيه عنف المبارزة بين فرسان قومه وخصومهم بمنزلة المخاريق التي تلعب بها الصبيان، وذلك في قوله:

كَأَنَّ سُيُوفَنَا فِينَا وفيهم مخاريقٌ بأَيدي لاَعبينَا
كأَنَّ ثَيابَنَا منَّا وَمِنْهُمْ خُضْبْنَ بأرجُوَانٍ أو طُلِيَنَا[٣٥]

ويشير الشاعر امرؤ القيس إلى هذه اللعبة في معرض تشبيهه لسيفه الصقيل بالمخراق لكثر تصريفه وخفته ولحاقه حيث يقول:

وأبْيَضَ كَالمِخْرَاقِ بَلِّيتُ حَدَّهُ وَهَّبْتهُ في السَّاقِ والقَصَرَاتِ[٣٦]

ويعمد الشاعر قيس بن الخطيم إلى الاشارة إلى لعبة الصبيان بالسيوف، تجسيداً لابراز شجاعته وبسالته ومبارزته لخصومه في مهارة فائقة وهذا ما يستشف من قوله:

أجَادلُهم يوم الحديقة حَاسِراً كَأَنِّ يدي بِالسّيف مِخْراقُ لاَعبِ[٣٧]

لعبة المفايلة:

وهي إحدى ألألعاب الجماعية للصبيان، والفتيان الأعراب بالتراب، إذ يخبئون الشيء في كومه تراب ثم يقسمونها قسمين، ثم يقول الخابئ لأصحابه: «في أي القسمين هو، فإذا أخطأ قال له: فال رأيك[٣٨]. وهذه اللعبة تقّوي من فراسة الطفل. إذا أخذنا في الحسبان أن القائل هو" من المتفرسين الذي يظن ويخطئ، وصبيّ فال، أي ضعيف الرأي، مخطئ الفراسة، ولا يعد فائلاً حتى ينظر الى الفرس وفي حالاته كلها ويتفرس فيه، فأن أخطأ بعد ذلك فهو فارس غير فائل، ومنه اشتقت المفايلة والفيال والفيال[٣٩]. والى هذه اللعبة أوما طرفة ابن العبد وذلك في معرض تشبيه مركب الظعينة بصدر سفينة يشق حيزومها

(صدرها أو مقدمتها الحادة) بها حباب الماء أي يقطعه أو يقسمه كقسمة المفايل الترب، وذلك ما اودعه الشاعر في هذه الصورة الشعرية:

عدولَّية أَو من سفين ابنِ يَامِنِ يجور بها الملاح طوراً ويهتدي
يِشُقُّ حَبَاب الماءِ حيزُمُها بِهَا كَمَا قَسَمَ التُّرْبَ الُمفَايِلُ بِاليَد[٤٠]

لعبة الطبن:

ومحتواها بيت يبنيه الأطفال من قش وحطب حتى تأتي به الريح[٤١]. وذلك تزجية للوقت، وممارسة عملية لاختيار قدراتهم البدنية ومستوى فطنتهم؛ إذ جاء في بعض المعجمات: الطبن بالتحريك الفطنة[٤٢]، وما دل على هذا المعنى قول الاعشى:

واَسْمَعْ فإِنَّي طَبنٌ عَالمٌ قَطَعُ مِنْ شِقْشَقَةِ الِهادر[٤٣]

والطبن أيضاً: مصدر، لانه ضرب من اللعب. والطبنة لعبة يقال لها بالفارسية سدرة، والجمع طبن[٤٤]، قال الشاعر:

مِنْ ذِكْرِ أَطْلاَلٍ وَرَسْمٍ ضَاحِي كالطَّبنِ في مخْتَلفِ الرَّياحِ[٤٥]

واشار المتلمس إلى هذه اللعبة قائلاً:

بئْسَ الْفحُوُلَةُ حينَ جُدْتُهُم عَرْكَ الرَّهَانِ وَبْس مَا بخِلُوا
أعني الخُؤُولَةَ والْعُمومِ فَهُمْ كَالطبَّنِ لَيْس لَبْيِته حِوَلُ[٤٦]

لعبة المقلى:

وهي لعبة ما زال الصبيان يمارسونها في الكثير من البلدان العربية حتى اليوم. ويسمونها (العود والبلبل)... فالمقلى: كالقلة والمقلى والمقلاة على وزن مفعال أداتها عودان يلعب بهما الصبيان[٤٧]. فالمقلى العود الكبير الذي يضرب به[٤٨]. وذلك ما يستوحي من قول امرئ القيس حين شبه ضمر الحمار بهذه القلة في خفتها:

فَأَصْدرَهَا تَعْلُو النّجَادَ عَــشَّيةً أَقَبُّ كَمِقْلاَءِ الوَلِيدِ شَخِيص[٥٠]

واشار لبيد إلى هذه اللعبة ايضاً في قوله:

قَرَباً يِشُجُّ بِهَا الُخُروقَ عَشَّيةً رَبذٌ كَمِقْلاَةِ الَوِليــد شِــتِيمُ[٥١]

وقول ابن مقبل:

كَأَنَّ نَزْوَ فِرَاخِ الهَــام بَيْــنُهُم نَزْوُ القُلاَتِ زَهَاهَا قال قَالِينَــا[٥٢]

لعبة الزلف:

لقد اتخذ الصبيان من كل مكان ممتلئ من الماء زلفة، أي التقدم من موضع إلى اخر[٥٣]، بمعنى ادل أنهم كانو يلعبون بالبركة قافزين إليها من أماكن ملــساء منحدرة، ويعيدون ذلك مرات عدة، فيشعرون بالحبور والــسعادة والانــشراح... وذلك مايستشف من قول لبيد العامري:

حَتَّى تَحَيَّرت الــدَّيَارُ كِأَنَّهِــا زَلَفٌ وَأُلقيِ قتْبُهَا المْخزُومُ[٥٤]

وهذه اللعبة كانت تعينهم أيضاَ على تعلم (العوم) الذي لابد من اتقان الصبي له، حتى يدعى بالكامل مستقبلاً...

لعبة صيد الرهدان:

وهي ممارسة الصبيان هواية صيد الطير (الرهــدان) أمثــال العــصافير، الواحد (رهدن)[٥٥].

وقيل: الرهدان: طائر شبيه بالقنبرة، الا انه ليست لــه قنزعــة[٥٦]، وقيــل أيضاَ: طائر يشبه الحمر، لأنه أدبس، وهو اكثر من الحمر[٥٧].. وقــد اشــتهرت (مكة) بهذا النوع من الطير، وبشأن هذه اللعبة قال احد الشعراء:

تَّذَرَّينَا بــالْقوْل حتِّــى كأَنَّــهُ تَذَري ولدانٍ يصِدْنَ رَهَادنــا[٥٨]

لعبة العرعرة:

وهي لعبة صبيان الاعراب، وذلك اذا خرج الصبي من بيته ولم يجد أحداً يلاعبه رفع صوته فقال عرعار، أي هلموا الى العرعرة، فإذا سمعوا صوته خرجوا ولعبوا تلك اللعبة واختلطت أصواتهم[٥٩].

وأشار النابغة الذبياني إليها في قوله:

مُتكَنِّفِي جَنْبْي عُكَاظ كِلَيْهِمَا يَدْعُوا بِهَا وِلْدَانُهُمْ عَرْعارِ[٦٠]

لعبة الزحلوقة:

ومن الألعاب الشعبية الأخرى التي مارسها الاطفال في الماضي (لعبة الزحلوقة)، وهي نفسها (لعبة الارجوحة) الشائعة بينهم في هذا العصر الحديث، وهي تشكل من اجتماع عدد من الاطفال حول خشبة يضعونها على كومة رمل، ثم يجلس على احد طرفيها جماعة، وعلى الطرف الاخر جماعة، فأي الجماعتين أرزن ارتفعت الأخرى، فينادون أصحاب الطرف الآخر(ألا حُلُّوا)، أي خففوا من عددكم حتى نساويكم في التعديل، وهكذا[٦١]. وهذه التي تسميها العرب (الدوداة) و(الزحلوقة)[٦٢]، وتسمة ارجوحة العرب المطوحة. قال امرؤ القيس بشأنها:

لِمَنْ زُحْلُوقَةٌ زُلُّ
بِهَا الْعَيْنَانِ تَنْهَلُّ
يُنادِي الآخرَ الأُلُّ
ألاَ حُلُّوا ألاَ حُلُّوا [٦٣]

لعبة الحدبَدْبَى:

وتنبئنا المظان الادبية بلعبة جماعية للأطفال تسمى (الحدبدبى)، والراجح أنها تشكل من تجمع طائفة من الصبيان حول قصاص بعينه، إثر مناداته إياهم

لمرات عدة وبصوت عال (حدبدبى حدبدبى)[٦٤]... ادراكاَ منه بشغف أولئك الصبيان بسماع القصص أو حكايات المغامرات – على وجه التحديد – ولا سيما في اوقات فراغهم الواسعة في الصحراء حين يرخي الليل سدوله. ولا ننسى براعة القصاص الذي كان يفيض على قصصه من خياله وفنه حتى يبهر سامعيه ويأسرعليهم قلوبهم، ويخلب ألبابهم؛ ولنا في قول الراجز ما يقيم القناعة بشيوع مايمكن أن نسميه بلعبة (القصص) في الموروث القديم، ولا سيما الابيات لسالم بن دارة يهجو فزارياً:

حَدَبْدَبَى حَدَبْدَبَى يَاصْبَيَانْ
إِنَّ بَنِي فَزَارَةَ بن ذُبْيَانْ
قَدْ طرَّقت ناقُتُهم بإنسانْ
مشيئ أعجِب ْبخلقِ الرَّحمنْ[٦٥]

لعبة الخرارة:

واذا انتقلنا الى الالعاب الفردية للاطفال تنبئنا أشعار العرب بممارسة اطفال القبيلة (لعبة الخرارة) وهي عبارة عن عود يوثق بخيط فيحرك الخيط وتجر الخشبة فتصوت تلك الخرارة[٦٦]. ويقال لخذروف الصبي التي يديرها خرارة(٦٧). وقد استنبطنا هذه اللعبة من أحد أبيات معلقة امرئ القيس، وقد اودع فيه تجسيم سرعة فرسه، وخفته في عدوه، في صورة شعرية تشبيهية استمدها من الخرارة التي يلعب بها الصبيان ذات الصوت المسموع والمر السريع كما في قوله:

دَرِيرٍ كَخُذْرُوفِ الوَلِيد أَمَّرهُ تَقَلبُ كِفْيِه بِخَيط مُوصَّل[٦٨]

فقد جعل خيط الخذروف (أي الخرارة) موصلاً، لانه قد لعب به كثيراً حتى خف وأخلق وتقطع خيطه، فوصل، وذلك أسرع لدورانه.

لعبة العروسة:

أما اهم واقدم الالعاب الشعبية التي تعيش في وجدان كل الاطفال من الاناث فهي (العروسة) المعروفة في كل البلاد العربية، وتسمى (لدمية) أيضاً أو (اللعابة) أو (البنات)، كما في شبة الجزيرة العربية، وهي غالباً ما تصنع من الخيش أو بقايا القماش، ويتم حشوها بالقطن او القش او الكتان، وترسم العيون والفم والملامح بالكحل، ويصنع الشعر من جدائل الخيوط الملونة. وهذه العرائس كانت أهم اصدقاء البنت، لانها بعيدة عن اقرانها من الاطفال الذكور. ويبدو أن إطلاق تسمية (العروسة) على هذه اللعبة جاءت من (العراس والمعرس والمعرس بائع الاعراس، وهي الفصلان الصغار، واحدها عرس وعرس)[٦٩]. ويبدوا أن الدمية كانت اكثر تداولاً وشيوعاً في العصر القديم، وهي التمثال المنحوت من العاج وغيره[٧٠]، حيث كانت دمى البنات تصنع تشبيها لها، وقد شاع في شعر الجاهليين تشبيه الفتيات البيض الجميلات (الصغيرات السن) بتلك الدمى. من ذلك الصورة الشعرية التي رسمها الشاعر بشر بن ابي خازم في قوله:

الواهِبُ البِيضَ الكَوَاعَبَ كَالدُّمَى حُورّاً بأيدِيها المِزاهُر تَعْزِفُ[٧١]

والاعشى يرسم صورة لفتاة مشبهة بالدمية لايفسد جمالها العبوس، ولا يذهب بوقارها الاسراف في الضحك، إذ يقول:

حُرّةٌ طْفَلُة الأَنامِلِ كالدُّمْـ ـية لاعَابسٌ ولا مِهْرَاقُ[٧٢]

ومما يؤكد ذلك قيل: «كان للعرب تماثيل خاصة بصغارهم يسمونها بالجواري والبنات»[٧٣]. كما في قول امرئ القيس:

وَهَي اذاَ ذَاكَ عَلَيْهَا مْئَزرُ ولَهَا بَيْتُ جَوَارٍ من لُعَب[٧٤]

والعرب لم تستنكر ما اتخذ من التماثيل لغير العبادة، أي للهو واللعب[٧٥].

الحوالس:

لعبة للصبيان بالحصى، اذ يخطون خمسة ابيات في ارض سهلة، ويجمع في كل بيت خمس بعرات، وبينها خمسة ابيات ليس فيها شيء، ثم يجر البعر اليها، كل خط فيها حالس، واليها اشار احد الشعراء في قوله:

فأسلمني حِلْمي فبتُّ كأنّني اخو حزق يلهيه ضربُ الحوالس[٧٦]

الطريدة:

لعبة لصبيان الاعراب، ويقال لها: عَيَاف ايضاً، قوامها التسابق بين الصغار، يقال واطردَ المسابق صاحبه، قال له: أن سبقتني فلك عليَّ كذا، وإن سبقتك فلي عليك كذاّ. وقد أومأ اليها الشاعر(الطرماح بن حكيم) في معرض وصفه جواري شببن فترفعن عن لعب الصغار، وذلك في قوله:

فَضَتْ من عَيَاف والطريدةِ حاجةَ فهُن الى لهو الحديث خضوع[٧٧]

تلك هي أبرز ألعاب الأطفال الشعبية في الماضي البعيد وشبه القريب، متسمة بالجدية والاستيعاب والتفتح على ألوان كثيرة من المعرفة والابداع، المسهمة في تكوين ملكات الطفل العقلية والاجتماعية والعاطفية واللغوية بكلمة أدل كانت تلك الالعاب تضيف وتعطي الكثير للطفل، وتحثه على تقبل الحياة، وتدفعه الى الاجتهاد والعمل والانتاج، فحسب أن تلك الالعاب غمست الطفل في بحر المعرفة والمتعة معاً في قسوة أحيانا، وفي حنان أحايين اخر. ولهذا نشأت أجيال العباقرة، ومدوا العالم برجال يشار اليهم بالبنان. نزوعاً الى تلك الطفولة ومواصفات ألعابها، خلاف الالعاب الحديثة او العصرية، فهي للاسف الشديد تكرس في نفوس الاطفال الروح الانعزالية وعدم الارتباط بالمجموعة، واذا كانت معظم الالعاب الشعبية في الماضي عبارة عن علاقة بين جسد الطفل وعناصر الطبيعة او تنافس بين الاطفال انفسهم، مما كان يرفع من مستوى اللياقة البدنية والصحة العامة للاطفال، فإن الالعاب الحديثة أصابت عضلات الاطفال

بالضمور، وتقوس الظهر، وقصر النظر،. وتجعلهم يقللون من الحركة والنـــشاط في سن هم في اشد الحاجة الى الحركة والانطلاق، وما العـــاب(الحاســـوب) الا احد الادلة على ذلك، حيث إنها العاب تعيق النمو الاجتماعي للاطفال، خلاف ما تتسم به ألعابهم الجماعية في كل انواعها وانماطها.

الهوامش:

(١) انظر: **أصول علم النفس**، د. احمد عـزت راجـح، الناشـر المكتـب المصري الحديث، د.ت ص٥٢٣ وما بعدها.

(٢) **تهذيب اللغة**، الأزهري، تحقيق عب السلام هارون، القـاهرة، ١٩٦٤: طفل.

(٣) **الصحاح**، الجوهري، تحقيق احمد عب الغفور، بيروت، ١٩٧٩م: طفل.

(٤) **أساس البلاغة**، تازمخشري، دار الكتب المصرية، ١٣٤١ هـ، طفل.

(٥) **ديوان الهذليين** (شعر أبي كبير)، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتـب، القاهرة،١٩٦٥م، القسم الاول ص١٣٢.

(٦) المصدر نفسه: (شعر أبي ذؤيب): القسم الاول، ص١٣٢.

(٧) المصدر نفسه: (شعر صخر الغي): القسم الثاني، ص٥٣.

(٨) لسان العرب، دار صادر، بيروت ١٩٥٦: طفل.

(٩) **شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري**،تحقيق احسان عبـاس، الكويـت، ١٩٦٢م، ص٢٩٨.

(١٠) **القاموس المحيط**، الفيروز أبادي، مطبعة السعادة، مصر، د.ت. (طفل).

(١١) **تهذيب اللغة**: (صبا)

(١٢) **تاج العروس من جواهر القاموس**، الزبيدي، المطبعة الخيرية، مـصر ١٣٠٧هـ (صبا).

(١٣) **أساس البلاغة**: (صبا).

(١٤) **لسان العرب**: (صبا).

(١٥) **تهذيب اللغة**: (حدث).

(١٦) **الصحاح:** (حدث).

(١٧) **لسان العرب:** (نشأ).

(١٨) **أساس البلاغة:** (فتى).

(١٩) **لسان العرب:** (فتى).

(٢٠) **المصدر نفسه:** (فتى)، **والشعر دون عزو.**

(٢١) **تهذيب اللغة:** (ولد).

(٢٢) **الصحاح:** (ولد).

(٢٣) **لسان العرب:** (ولد).

(٢٤) **العقد الاجتماعي:** جان جاك روسو، نقلاً عن دراسة" اطفالنا في عيون الشعراء"، احمد ابو سويلم، دار المعارف بمصر، ١٩٧٧م، ص٢٤.

(٢٥) انظر: **القبيلة في الشعر العربي قبل الاسلام،** احمد اسماعيل النعيمي، رسالة ماجستير أجازتها كلية الآداب، الجامعة المستنصرية، ١٩٨٥م ص٤٦.

(٢٦) **اللسان:** (جمع)، والشعر دون عزو.

(٢٧) الحياة العربية من الشعر الجاهلي: د. احمد محمد الحوفي، طبعة نهضة مصر، ١٩٦٢م، ص٣٢٩.

(٢٨) **العقد الفريد:** ابن عبد ربه، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٥٢م، ١١٦/١.

(٢٩) **شرح حماسة أبي تمام:** التبريزي، دار القلم، بيروت، د.ت،٦١/١.

(٣٠) انظر: **العصر الجاهلي،** د. شوقي ضيف، القاهرة، ١٩٨٢، ص ٢٠.

(٣١) **ديوان امرئ القيس:** تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، دار المعارف بمصر، ١٩٨٤م،٢٠/١.

(٣٢) **كتاب الخيل:** لأبي عبيدة، الهند، ١٣٥٨هـ: ص١٢.

(٣٣) انظر: **المخصص:** ابن سيدة، المطبعة الكبرى الاميرية، مصر، ١٣١٧هـ: ١٦/٦ وما بعدها.

(٣٤) **الفروسية العربية:** سيد حنفي، دار المعارف بمصر، ١٩٦٠م، ص٦٠.

(٣٥) **شرح القصائد العشر:** التبريزي، تحقيق د. فخر الدين قباوة، بيروت، ١٩٨٠م: ص٣٤٠.

(٣٦) **ديوان امرئ القيس:** ق٦/ص٨٢.

(٣٧) **ديوان قيس بن الخطيم،** تح.د.ناصر الدين الاسد، دار صادر، بيروت، ١٩٦٧م: ٨٨.

(٣٨) **لسان العربي:** (فيل)

(٣٩) **أساس البلاغة:** (فيل).

(٤٠) **ديوان طرفة بن العبد:** تح. علي الجندي، مصر،**د.ت:ق١/ص٣١.**

(٤١) **لسان العرب:** (طبن)

(٤٢) **تهذيب اللغة:** (طبن).

(٤٣) **ديوان الاعشى:** تح. محمدمحمد حسين، المطبعة النموذجية، مصر، ١٩٥١م، ق١٨/ص١٤٥.

(٤٤) **تاج العروس:** (طبن).

(٤٥) **اللسان:** (طبن).

(٤٦) **ديوان المتلمس الضبعي:** تحقيق حسين كامل الصيرفي،القاهرة، ١٩٧٠م: ص٤٨.

(٤٧) **القاموس المحيط:** (قلا).

(٤٨) **أساس البلاغة:** (قلا).

(٤٩) **لسان العرب:** (قلا).

(٥٠) **ديوان امرئ القيس:** ق٣١/ص١٨٣.

(٥١) **شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري:** ص١٢٨.

(٥٢) **ديوان ابن مقبل:** تح. د.عزة حسن، دمشق، ١٩٦٢م:٥٥/ص٢٨٤.

(٥٣) **لسان العرب:** (زلف).

(٥٤) **شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري:** ص١٢٣.

(٥٥) **تهذيب اللغة:** (رهدان).

(٥٦) **أساس البلاغة:**(رهدان).

(٥٧) **لسان العرب: (رهدان).**

(٥٨) **المصدر نفسه:** والشعر دون عزو.

(٥٩) **القاموس المحيط:** (عزو)

(٦٠) **ديوان النابغة الذبياني:**تح.محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر، ١٩٨٥م: ق٥/ص٥٦.

(٦١) **لسان العرب:** الل.

(٦٢) **القاموس المحيط:** (ألل).

(٦٣) **ديوان امرئ القيس:** ص٤٧٣.

(٦٤) **لسان العرب:** (حدب).

(٦٥) **لعب العرب:** احمد تيمور، القاهرة، ١٩٤٨م.

(٦٦) **تهذيب اللغة:** (خرر).

(٦٧) **القاموس المحيط:** (خرر)

(٦٨) **ديوان امرئ القيس:** ق١/ص٢١.

(٦٩) **لسان العرب:** (عرس).

(٧٠) **الاحكام السلطانية والولايات الدينيـــة**، المـــاوردي، القـــاهرة، ١٩٦٠م، ص٦٩.

(٧١) **ديوان بشر بن ابي خازم الاسدي:** تح.د. عزة حسن، دمـــشق، ١٩٦٠م، ق٣٠/ص١٥٥.

(٧٢) **ديوان الاعشى: ق٣٢/ص٣٠٩.**

(٧٣) **خيال الظل: احمد تيمور**، مصر، ١٩٥٧م، ص٤٨-٤٩.

(٧٤) **ديوان امرئ القيس: ق٧٢/ص٢٩٤.**

(٧٥) **خيال الظل:** ص٣٣.

(٧٦) **القاموس المحيط: حلس.**

(٧٧) **اللسان: طرد**